أهمية تعدد التخصصات في بناء منهج الدراسات الاجتماعية والتربوية

The importance of multidisciplinary in building a social and educational studies curriculum

د.العابد عبد اللطيف

جامعة الشاذلي بن جديد- الطارف- الجزائر، abdelatif_labed@yahoo.fr

تاريخ الاستلام:2022/11/13 تاريخ القبول:2021/03/30

الملخص:

للمنهج التربوي مكانة إستراتيجية في العملية التعلمية، فلا يقوم إصلاح التعليم إلا بتحسين المناهج وتجديدها وتطويرها، وتعد هذه العملية جوهرية، تنطلق من القيم الحضارية للمجتمع وتستجيب لمتطلبات التنمية والتطلعات الداخلية والخارجية لهذا المجتمع.

بيد أن النمو غير المسبوق للمعارف، والتطور السريع الذي يشهده عالمنا المعاصر في مختلف العلوم، يزداد تعقيدا باستمرار، وإن فائقة التخصص (hyper spécialty) المتمثلة في تشعب الفروع المعرفية وما ظهر على إثرها من تقسيم مفرط للعمل، أنتج تكريسا لعزلة فكرية شكلت حائلا أمام طموحات الباحثين المتمثلة في تبادل المعارف والدمج بينها لتعميم فائدة ما وصلت إليه العلوم من تجارب وحقائق. من هنا نشأت مبررات الاتجاه نحو فكرة التكامل المعرفي والتي تجلت في ظهور مقاربات جديدة، تقوم على تعددية التخصصات، تهدف إلى التعامل مع مكونات النظام التربوي _ المتغير هو الآخر باستمرار _على ضوء مجموعة من التخصصات العلمية والمعرفية المتداخلة والمتقاطعة لتشكل اتجاها أكثر مرونة وانفتاحا وموسوعية، وتمكن المتعلمين من فهم الظواهر في سياقها المركب، وتأثيراتها المتبادلة، كما هي في الواقع. في هذه الأسطر سنعطي توضيحا لهذه المقاربة ونحدد مراتها من خلال استعراض آراء بعض المفكرين المشتغلين في هذا الحقل المنهجي، كما سنبين أهميتها وكيفية توظيفها في مجال الدراسات الاجتماعية والتربوية لغرض معالجة مشكلاتها بفعالية أكبر.

الكلمات المفتاحية: تعددية التخصصات -التكاملية المعرفية - ما بين التخصصات - عبر التخصصات- المنهج التربوي.

Abstract:

The educational curriculum has a strategic position in the learning process. Education reform only improves, renews and develops the curriculum, and we consider that a fundamental

process that stems from the civilized values of society, and in response to the development requirements and the internal and external aspirations of this society.

However, the unprecedented growth of knowledge and the rapid development that our contemporary world is witnessing in various sciences comes every day with more complexity, and the super-specialization, represented by the bifurcation of knowledge branches, has resulted in the consecration of an intellectual isolation that has formed a barrier to the aspirations of researchers represented in the exchange of knowledge and facts and merging between them.

From here arose the justifications for the trend towards the idea of cognitive integration, which was reflected in the emergence of new approaches, based on multidisciplinary, aimed at dealing with the components of the educational system in the light of a group of scientific and cognitive disciplines overlapping and intersecting to form a more flexible, open and encyclopedic trend. Through these lines, we will explain this approach and define its ranks through the opinions of some thinkers working in this methodological field. We will also show how to employ it in the field of social and educational studies and to address its problems more effectively.

Key Word: multidisciplinary; integrative cognitive; interdisciplinary transdisciplinary; educational curriculum.

مقدمة:

إن تطور الأنشطة البشرية منذ العهود الأولى لنشأة الإنسان، صحبها تراكم للمعارف، ومع استغراق الزمن صارت معارفه بحاجة إلى تنظيم، وموضوعات استقصائه إلى تمييز، فنشأت ما تسمى بالتخصصات المعرفية وتفرعت العلوم وصيغت لها نظريات ومناهج.

في دراسة كرونولوجية لتطور هذه التخصصات عبر التاريخ، كان الاتجاه الموسوعي هو السمة المميزة للعلماء والمفكرين في كل العصور والأقطار، كما كان الحال عند اليونان وفي آسيا الشرقية وعند المسلمين، وفي أوروبا في عصر التنوير إلى غاية ظهور الثورة الصناعية في العصر الحديث.

على سبيل المثال، قدم "ابن الهيثم" في القرن العاشر الميلادي إسهامات في الرياضيات والبصريات والفيزياء والفلك والهندسة وطب العيون والفلسفة العلمية

والإدراك البصري...وصحح مفاهيم سائدة في ذلك الوقت اعتمادا على نظريات "أرسطو" و"بطليموس" و"إقليدس"، مثل: قدوم الضوء من الأجسام إلى العين وليس العكس. وضمن كتابه "المناظر"، معادلة من الدرجة الرابعة حول انعكاس الضوء عرفت بمسألة ابن الهيثم (نظيف، 2008، ص142).

وألف ابن سينا مائتي كتاب في مواضيع مختلفة يرتكز العديد منها على الفلسفة والطب، وبقي كتابه "القانون في الطب" مرجعا لتعليم هذا الفن حتى أواسط القرن السابع عشر في جامعات أوروبا، وله مؤلفات في المنطق واللغة والشعر والرياضيات والطب النفسي والأخلاق وتدبير المنزل والمدينة والفلك والنبات والحيوان (أبو خليل، 1996، ص511).

أما منذ الثورة الصناعية وإلى عصرنا هذا، فقد شهد عالمنا انفجارا معرفيا هائلا صحبه تدرج في الفصل بين مختلف الفروع المعرفية والمناهج، أضحى فيه الفكر الموسوعي أمرا مستحيلا، بالمقابل أنتج هذا التخصص المعرفي تكريسا لعزلة فكرية شكلت حائلا دون تحقيق تطلعات المجتمعات الإنسانية عموما.

من أجل هذا، تعالت في وقتنا الراهن نداءات تنادي بالجمع والدمج بين مختلف المعارف الإنسانية، ولغرض العودة إلى إقرار وحدة المعرفة وتكامليتها والتي صارت على حد تعبير الفيلسوف "هربرت ماركوز" مهددة في زمن الإنسان ذي البعد الواحد.

ويرى "أندريه بورغينيون"[1]، أن فروع المعرفة يجب أن يُربط بعضها مع بعض، وأن تعددية التخصصات تصبح عندئذ ضرورة نظرية وعملية، كما يرى أن استمرارية هذا التفكير في وحدة المعرفة يوصل إلى اجتياز هذه التخصصات وتخطيها من أجل إيجاد رؤية جديدة للإنسان وللكون.

[1] "أندريه بورغينيون"، André Bourguignon، (1920- 1996) طبيب عقلي فرنسي، أستاذ مشارك في الطب العقلي في جامعة باريس الثانية عشرة ومستشفى جامعة كريتيل .وخلال حياته المهنية، أدى به نهجه الإنساني العميق من الطب الجسدي الكلاسيكي إلى الطب النفسي التحليلي ثم إلى تركيبة أنثروبولوجية واسعة .

فهذا التوجه الجديد يفتح بدوره مقاربات تربوية وأبستمولوجية جديدة، ويسمح بتداول **إشكالات** مختلفة يمكن صياغتها في مفاهيم تتعلق بالتعاون بين مختلف الفروع أو التخصصات المعرفية وتتفرق من حيث **درجة اندماجها**، فنجد لها ثلاث مراتب أجمع عليها عدد من المفكرين ممن سنعرض آراءهم، وهي:

- تعددية التخصصات.
- مابين التخصصات.
- عبر التخصصات.

وبرغم صعوبة نقل هذه المفاهيم من سياقها الإبستمولوجي والاصطلاحي اللغوي الأصلي، خاصة وأنها نشأت في سياقات معرفية متنوعة وبلغات غير عربية، فإن حداثتها وانشغال عدد من أبرز الباحثين بطرقها، يدفعنا إلى الوقوف عندها واستكشافها كمقاربات حديثة من أجل إعادة تأسيس العلاقة بين التخصصات كتجارب رائدة في مجال التكاملية المعرفية ضمن البحث العلمي.

في هذا المقال سنتطرق إلى هذا التناول القديم المتجدد، مستعرضين آراء أبرز رواده المعاصرين، مع تمثيل نموذج لتطبيقه في الدراسات التربوية، ذلك على أمل المساهمة في إثراء النقاش الدائر بخصوص تطوير طرق التربية والتعليم، ومعالجة المشكلات الاجتماعية بطرق تلتقي فيها التخصصات والفروع العلمية.

1- تطور التخصصات المعرفية

يرى "أندريه **بورغينيون**" (Bourguignon, De la pluridisciplinarité à la transdisciplinarité, http://ciret-transdisciplinarity.org) أنه منذ العصر الإغريقي برزت الحاجة إلى التمييز بين طبيعة الأنشطة البشرية المستندة إلى المعرفة، فقد اقترح "آرسطو" التمييز بين ثلاثة منها، العلوم التطبيقية، العلوم الشعرية، والعلوم النظرية (الرياضيات، الفيزياء، اللاهوت). وفي العصر الوسيط شكلت الفروع المختلفة للمعرفة،

الفنون الحرة الموزعة بين الرباعي العلمي الذي يضم الهندسة والفلك والحساب والموسيقى، والثلاثي الأدبي الذي يجمع النحو والبلاغة الديداكتيك أو المنطق. وفي بداية القرن السابع عشر، في العصر الذي نشأ فيه العلم الحديث، نادى ديكارت بمنهج لـ :" البحث عن الحقيقة في العلوم" ولو أن تقنيات الاستقصاء لم يتم إتقانها بعد، فإن هذا المنهج فتح الطريق نحو استقلالية الفروع العلمية.

كان لا بد من انتظار القرن 19م من أجل طرح مسألة تصنيف الفروع العلمية/ التخصصات، حيث اقترح كثيرون من أمثال:"أندريه أمبير"و"هربرت سبنسر" حلولا ولكن كان حل "أوغست كونت هو المثير للاهتمام، فعلا كان له الفضل في مفصلة الفروع العلمية فيما بينها على نحو خطي بدءا بالرياضيات وانتهاء بعلم الاجتماع مرورا بالفلك والفيزياء والكيمياء والبيولوجيا وعلم النفس، كان كل منها يتأسس على القوانين الرئيسية للفرع الذي يسبقه، ويكون في نفس الوقت أساسا للفرع اللاحق. ضمن هذا التصنيف كانت درجة عمومية كل فرع تتناقص نزولا من الرياضيات إلى علم الاجتماع، بينما تكون درجة التعقيد في تزايد، وبذلك اختصت الرياضيات بمكانة راقية. أما "أنطوان أوغست كورنو" فقد أضفى إلى الرؤية **الكومتية** (نسبة إلى أوغست كونت) المنظور التاريخي والذي تتعاظم أهميته من الرياضيات إلى العلوم الإنسانية.

في وقت قريب، واجه "ج. بياجيه" 1967 هذا التسلسل الخطي للعلوم بتصور دائري وبهذا صار من الضروري للعلوم الإنسانية: علم النفس وعلم الاجتماع. أن تتمفصل مع العلوم المنطقية الرياضية، وفضلا عن ذلك فهو يقترح التمييز بين عدة ميادين في كل تخصص أو فرع من العلوم: مجال مادي (موضوع التخصص)، مجال تصوري (مجموع معارفه ونظرياته)، مجال إبستمولوجي داخلي (دور الذات، نقد النظريات، إلخ.)، وأخيرا مجال إبستمولوجي مشتق يستخلص المدى الإبستمولوجي العام لنتائج الفرع العلمي. ضمن هذا المنظور فإن كل معرفة ترتبط في نفس الوقت بالموضوع وبالذات، وهكذا تكون كل الفروع/ التخصصات مترابطة داخليا بالضرورة.

بموجب الإبداعات التصورية والاكتشافات التجريبية والاختراعات التقنية وامتهان البحث واختصاص الباحثين الذي يتزايد تفريعا، وبموجب تعقد أدوات البحث، فإن كل التخصصات وفروع المعرفة تتطور وتنمو وتتحول وتزداد انقساما وتفرعا، وتتجه بذلك التخصصات التحتية إلى الاستقلالية. إن هذا التطور نحو الاختصاص المفرط أيا كان مجاله، ظل في وقتنا هذا ذا خصوبة خارقة. لكن بالمقابل فإن المعرفة انشطرت إلى ما لا نهاية في تخصصات مختلفة، مستقلة إلى حد كبير، ليس بوسع أي فرد أن يسيطر على انتشارها وصار يتضاءل باستمرار احتمال إحاطة أي اختصاصي بإحدى كليات هذه التخصصات أو الفروع المعرفية. هذا الوضع تسبب في حدوث قطيعة عميقة بين واقع وجود العلم وبين فكرة العلم، بوصفه الشوط الأعلى للمعرفة البشرية، كما وضحت ذلك الفلسفة منذ أصولها. هذا الخطر نبه إليه عدة مرات "إدغار موران" (Morin, Bulletin Interactif du Centre International de Recherches et Études transdisciplinaires, n° 2) الذي كتب في مقال له في 1994 بعنوان: "إن الحدود الفاصلة للتخصص: لغته ومفاهيمه الخاصة، سوف تعزله عن باقي التخصصات وعن باقي المشكلات المشتركة بين التخصصات".

2- **مظاهر ومراتب المقاربة متعددة التخصصات**

يميز المعجم الموسوعي للتعليم والتكوين (Etévé et Champy, 1994, p561) بين المفاهيم المذكورة أعلاه والمتعلقة بالتعاون بين الفروع العلمية والتخصصات من خلال تعريفه لكل منها على حده كالتالي:

2. 1 تعددية التخصصات: تفسر بأنها الالتقاء حول موضوعة مشتركة بين مجموعة من الباحثين أو المدرسين في تخصصات مختلفة، مع احتفاظ كل واحد منهم بخصوصية مفاهيمه ومناهجه، إنها مقاربة موازية لهدف مشترك من خلال رؤى مختصة، ففي إطار التطور التكنولوجي مثلاً، فإن تخصصات ومهناً مختلفة من الممكن أن تشترك في معالجة المشكل نفسه.

ما يمكن ملاحظته أن في هذه المقاربة تجتمع عدة تخصصات من غير محاولة دمج أو تركيب المعلومة جماعيا، وإنما يشتغل المختصون بمظاهر مختلفة لنفس المشكلة وفي الأخير يتم تجميع نتائج الدراسة في كل تخصص .بشكل متجاور. من قبل مسؤول ينسق عمل هؤلاء المختصين.

2. 2 ما بين التخصصات L'inter disciplinary:

نسميها أيضا، البينية التخصصاتية، حوار وتبادل للمعارف والتحليلات والمناهج بين تخصصين أو أكثر، وهي تتطلب تداخلاً بين مختلف هذه التخصصات. المثال الأقرب يكمن في الإثنولوجيا الإنسانية التي تجمع بين دراسة السلوك الحيواني وعلم نفس الأطفال أو السرطان في إطار تقاطع الرؤى بين علماء البيولوجيا والأطباء، وعلماء النفس والفلاسفة (نفس المرجع السابق، ص 563).

فهي عمل نقوم من خلاله بتطوير القدرة على التحليل والتركيب انطلاقا من منظور اختصاصات متعددة، يكون هدفه معالجة إشكالية في مجموعها من خلال تبيين ودمج كل العلاقات بين عناصرها المشتركة، كما يحاول هذا العمل تركيب وتوصيل المعرفة التخصصية ووضعها في إطار نسقي أكثر اتساعا. كما يمكن تصور هذه المقاربة بطرق مختلفة حسب الميدان المؤسساتي أو المهني الذي نتدخل من خلاله: المعرفة، البحث، التربية والنظرية (Nissani, 1995, p 119).

2. 3. عبر التخصصات La trans : .disciplinaryتسمى أيضا، **اجتياز التخصص**:

معرفة تعبر علوماً متنوعة دون الاهتمام بالحدود الفاصلة بينها .الأنثروبولوجيا ما قبل التاريخية والسوسيولوجيا التاريخية أمثلة جيدة لهذا الأمر، أو مفهوم النسق في الفيزياء والبيولوجيا والاقتصاد وعلم الاجتماع (Etévé et Champy, 1994, p56) هي وضعية علمية وفكرية، هدفها فهم تعقيد العالم المعاصر والحاضر. تتميز عن تعددية وبينية التخصصات بهذا المعنى بأنها تتعدى وتتجاوز التخصصات فهي تتموضع في آن واحد بين وخلال وما وراء كل التخصصات، هذه الوضعية أكثر طموحا يتمثل هدفها في

تجميع المعارف فيما وراء التخصصات وهي ترفض تقسيم العالم ومشكلاته إلى تخصصات وفروع علمية.

يمكن عرض هذه المفاهيم في جدول أعده "آلان ليتورنو" (أستاذ بقسم الفلسفة جامعة "شربروك، كندا)

جدول يبين التمثيل المعتاد للتدرج في المعرفة من المستوى الأعلى إلى الأدنى

عبر التخصصات	تشكل أعلى مستوى تتميز بأنها انفتاح على ما هو فوق وما بين التخصصات، فيما يتعلق بموضوع معين وبواسطة مفهوم التعددية لمستويات الواقع (نيكولسكو).
ما بين التخصصات	وضعية تتعاون فيها التخصصات وحيث يكون هناك تبادل للأساليب والنتائج فيما بينها. يصعب تمييزها عن عبر التخصصات في محتواها.
تعددية التخصصات	هذا المستوى يسعى أيضا تعدد التخصصات، يتمثل في تجميع تخصصات متعددة تساهم كل واحدة منها في فهم الموضوع أو الظاهرة.
أحادية التخصص	وهو المستوى الأدنى حيث تعمل التخصصات أو المناهج في عزلة.

المصدر: Létourneau. 2008 http://vertigo.revues.org/ 2015/02/26

حسب ما يراه هذا الأستاذ، فأن عبر التخصصات تشكل مرحلة متطورة من الممارسة الجماعية في البحث، تسعى إلى ربط ودمج المعارف وتشكل خطابا حول تعدد مستويات الواقع.

3. آراء بعض رواد الاتجاه التعددي في التخصصات:

اشتغل عدد كبير من الفلاسفة والعلماء والمتخصصين بفكرة تعدد الفروع المعرفية وتكاملها نستعرض فيما يلي أبرز من تحمس لهذا الاتجاه وسنلاحظ أنهم ينتمون إلى تخصصات تبدو متباعدة:

1.3 أندريه بورغينيون (André Bourguignon):

له عدة مؤلفات ومقالات في مجالات معرفية متعددة. وفي مقالته: "من تعددية المناهج إلى العبر مناهجية"، ويمكن أن تترجم، "من تعددية التخصص إلى عبر التخصص"، أشار إلى تطور التخصصات من تعددية إلى بينية إلى إجتيازية، منذ العهد الإغريقي إلى وقتنا المعاصر (بورغينيون، http://maaber.50megs.com/forth

.issue/épistémologie). كما نبه إلى أن التطور نحو التخصص الفائق والمتفاقم للباحثين، من جراء تعقد التقنيات تسبب في ردة فعل ترجمت إلى تقارب عدد من التخصصات واشتراكها في عدد من المفاهيم، على نحو مفاهيم نظرية المعلومات، التي اجتاحت العديد من التخصصات، وخاصة البيولوجيا.

وفي غضون الستينات من القرن العشرين برز مفهوم كل من *تعددية التخصصات* و*بين التخصصات* بروزا معتما في المجتمع العلمي والجامعي، كترجمة لحاجة عملية وتطلعا إلى المثال الفلسفي لوحدة المعرفة ولكن بشكل غامض وغير محدد.

ففي مقاربة أولى، يمكن القول إن "تعددية التخصصات" تعني تشارك عدة تخصصات في دراسة موضوع مشترك لا يستطيع أي منها أن يرصد كل مظاهره بالتقنيات التي بحوزته وحدها، بينما، في "ما بين التخصصات" تتجلى ضرورة ترسيخ تعاون بين تخصصات مستقلة بغية توسيع فهم ميدان معين أو بلوغ هدف مشترك.

في تعددية التخصصات يمكن أن تُشرك عدة تخصصات، إما أفقيا أو عموديا، في الفلك على سبيل المثال تم تجديد رصد الأجرام السماوية تجديدا تاما لدى إضافة كل أشكال الفلك الراديوي (الذي يعتمد فيه على الرصد بواسطة الهوائيات les antennes بدل المرايا الضخمة دقيقة الصنع) إلى الفلك البصري الكلاسيكي (تعددية تخصص أفقية). أما استكشاف مختلف مستويات عضوية المنظومة الطبيعية نفسها يمكن أن يعتبر كتعددية تخصص عمودية. في هذه الحالة يجب الاستغناء عن تكامل كل المعارف المحلية في معرفة شاملة ويبقى التمفصل بين المستويات مجهولا.

أما مقاربة *ما بين التخصصات* عند بورغينيون، فحصرها أسهل، فلبلوغ هدف تشترك فيه عدة تخصصات، مثل المصادقة على نظرية أو تأويل معطيات، فإن ذلك يستدعي تعاون عدة تخصصات مثال ذلك التاريخ والأنثروبولوجيا القديمة. وقد أثبتت مدرسة الحوليات، أن تعاونا وثيقا بين كل علوم الإنسان (الديموغرافيا، الاقتصاد، علم الاجتماع...الخ) وبين التاريخ، وسع المنظور التاريخي وأثراه بشكل ملحوظ. وبالمثل أيضا،

أن الأحافير البشرية اكتسبت مغزى جديدا عندما لجأ علماء الأنثروبولوجيا القديمة ليس إلى الجيولوجي فقط، بل وكذلك إلى عالم المناخ والفيزيائي والاختصاصيين في علم الحيوان والنبات الأحفوري. هكذا فإن إعادة تشكيل تلك البيئة سيلقي الضوء على تطور بيئة أشباه الإنسان Hominidés.

إذا كان كل من *تعددية وبينية التخصصات* تمثلان تقدما من حيث أنهما تبينان الروابط التي تربط التخصصات، ومن حيث أنهما تثريان المعرفة وتوحدانها، فإنه لا يقل صحة عن ذلك أنهما لا تعدلان موقف الإنسان تجاه البحث وتجاه المعرفة تعديلا جذريا. من أجل ذلك فإن "*عبر/اجتياز التخصصاتّ* مع اعترافها بقيمة التخصصات فهي تطمح إلى تجاوزها وتعدل موقف الإنسان.

وعن ولادة وأصل مفهوم "*عبر التخصصات*" يشير "بورغينيون" إلى مقال العالم الفيزيائي "نيلز بوهر"،Niels Bohr حين صرح: إن مشكلة وحدة المعرفة وثيق الارتباط بتفتيشنا عن فهم شمولي، مقدر له أن يرتفع بالثقافة الإنسانية، فهو وإن لم يرد فيه المفهوم فقد عبر عنه تعبيرا واضحا . أما ما كتبه "ج. بياجيه"[2] Jean Piaget عام 1970 بمناسبة مؤتمر حول "*ما بين التخصصات*": "**أخيرا عند شوط العلاقات "البين تخصصاتية"، يمكن أن نأمل بأن يليه شوط أعلى سيكون عبر تخصصاتي لا يكتفي ببلوغ تفاعلات أو مبادلات بين الأبحاث المتخصصة، إنما يضع هذه الصلات داخل منظومة كلية لا حدود مستقرة فيها بين التخصصات**"، فقد كان أكثر دلالة على تجاوز التخصصات.

[2] "جان ويليام فريتز بياجيه"، (9 أغسطس 1896 - 16 سبتمبر 1980) في جنيف، عالم بيولوجي سويسري، منطقي وعالم إبستيمولوجي معروف بعمله في علم النفس التنموي وعلم المعرفة من خلال ما أسماه علم المعرفة الوراثية.

منذ تاريخ هذا المؤتمر، اجتهد عدد من المؤلفين، بفرنسا تحديدا، في تدقيق تصورهم عن عبر/اجتياز التخصصات. إنهما قبل كل أحد "إدغار موران" و"بسراب نيكولسكو" (1985-1993)، غير أن تصور هذا الأخير يبقى أكثر تماسكا.

2.3 "إدغار موران" (Edgar Morin):

بالنسبة لهذا الفيلسوف والسوسيولوجي الفرنسي، في إطار حديثه عن التنظيم المعرفي الذي صاغه لدى تعريفه لمفهوم التخصص أو الفرع العلمي(Discipline) حدده بأنه:

"صنف تنظيمي في إطار المعرفة العلمية وهو يؤسس للتقسيم والتخصص في العمل ويستجيب للميادين المتنوعة التي تغطيها العلوم، وإن كان متضمن في مجموعة علمية كبيرة فإن التخصص العلمي يميل إلى الاستقلالية بواسطة مجاله المحدد وألفاظه الخاصة وغالبا بنظرياته الخالصة"(Morin – 1994).

ويؤكد على أن هذه التخصصات لها تاريخها متعدد اللحظات ما بين الولادة والتأسيس والتطور وصولاً إلى التدهور، هذا التاريخ يرتبط في رأيه بتأسيس الجامعات الحديثة في القرن التاسع عشر وتطورها مع انطلاق البحث العلمي في القرن العشرين. إنه تاريخ مسجل في إطار تاريخ الجامعة المسجل بدوره ضمن تاريخ المجتمع في شموليته، الشيء الذي يضعنا في اتصال مباشر مع كل من سوسيولوجيا العلوم والمعرفة. وقد اكتسى هذا التاريخ الذي يتحدث عنه "إدغار موران" معالم جديدة مع موجة الانفجار المعرفي الكبير الذي قاد لميلاد تخصصات علمية جديدة باستمرار، وإذا كان لهذا التخصص إيجابياته المرتبطة أساساً بضبط الحدود الفاصلة بين مختلف التخصصات المعرفية، لضمان الحفاظ على هويتها ومنع تحولها إلى معرفة مائعة، فإن للتخصص المبالغ فيه سلبياته الكثيرة أيضاً التي تتجسد في التخصص المفرط للباحثين والتشييء المبالغ فيه للمواضيع المدروسة، عبر اقتطاعها من سياقها العام، الشيء الذي يلغي كل أشكال العلاقات الممكنة بين التخصص المدروس والتخصصات الأخرى التي تحاط

وتحفظ بلغتها ومفاهيمها الخاصة (Morin نفس المرجع السابق)، ورأى في مقالته "سبعة ثقوب معرفية سوداء" أن تعليم المواد الدراسية والاختصاصات، مفصولة بعضها عن بعض، أدى إلى وجود ثقوب معرفية سوداء ابتلعت كل إمكانية تشكل معارف جديدة، وهذا ما جعل أمر إصلاح النظام التعليمي شبه متعذر. بينما رأى أن مهمة المؤسسة الجامعية، هي مهمة جامعة للإختصاصات ومطالبة بأن تحمي الثقافة وتصون مستقبلها الشمولي، فهو يدعو إلى تعويض التفكير الذي يفرق ويختزل بالتفكير الذي يميز ويربط .(Morin, 2015, http://maaber.50megs.com)

إن التفتح على عدة تخصصات أمر ضروري وحيوي ولكن قد يحدث أن نظرة ساذجة لشخص هاو من خارج التخصص أو حتى من أي تخصص، قد تحل مشكلة لم يكن حلها مرئيا من داخل التخصص. فمثلا داروين لم يتلق أي تكوين جامعي متخصص ولكن ذلك لم يمنع نباهته من المساهمة في الأنشطة البيئية الحية. كذلك بالنسبة لعالم الأرصاد "فيجينير" من خلال نظرته إلى خريطة جنوب المحيط الأطلسي لاحظ بأن غرب إفريقيا، أي الفجوة التي يمثلها خليج غانا، يمكن أن يتلاحم مع رأس "سان روك" شرق البرازيل، ومن خلال تشابه في الحياة النباتية الأحفورية والحديثة فإنه أصدر في 1912 نظرية تزحزح القارات والتي رفضها المتخصصون لزمن طويل _ لاستحالتها نظريا _ ولكن بعد خمسين سنة تم قبولها بالأخص بعد اكتشاف نظرية تكتونية طبقات الأرض.

وما أشار إليه هذا المفكر أن الثورة البيولوجية في السنوات الخمسين نشأت من تجاوز واتصال وتناقل بين التخصصات على هامش الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا. فنشأت ما تسمى بالبيولوجيا الخلوية التي استقلت فيما بعد تحت اسم البيولوجيا الجزيئية.

وأكثر أهمية تنقل المناهج المعرفية من تخصص لآخر فمثلا "ليفي ستروس" لم يكن بوسعه وضع الأنثروبولوجيا . البنيوية، لو لا تكرر لقاءاته في نيويورك مع "ر.جاكوبسن" الذي سبق له تأسيس علم اللغة البنيوي.

وفيما يتعلق بـ: *عبر/اجتياز التخصصات* يرى فيه "موران" أنه ضرورة في البحوث المعاصرة نتيجة تطور محتويات المعارف، فلا مجال في المستقبل لمسألة تركيم المعارف بشكل مجزأ _ دور العلم يصبح إذن احتواؤها في فروع محددة _ وإنما استخدام المعارف الأكثر تنوعا من أجل بناء معرفة علمية متفاعلة وتطبيقية تستجيب للإشكاليات المعقدة لمعاصرينا، هذه الفكرة الطموحة يصعب تطبيقها بالنظر إلى المزالق الكثيرة المتعلقة بهذه المقاربة، قد يكون مغريا للباحث أن يتوغل في اكتشاف معارف جديدة خارج مجال خبرته ويكون ذلك شاهدا على تفتحه العقلي غير أن نتائج أعماله تكون معرضة أكثر للنقد. فإذا كانت المسيرة "*عبر/اجتياز التخصصاتية*" لا يمكن الاستغناء عنها اليوم من أجل تطوير العلوم المعاصرة، فإن استخدامها يبقى محفوفا بالمخاطر ولذا يجب الولوج إليها بحذر. (Boulch, Université Paris, 3eme journées des 2002 doctorants)

وأخيرا فإن الفيلسوف الفرنسي "إدغار موران" آثر استخدام مقاربة *ما بين التخصصات* في مجال الفلسفة والمعرفة الإنسانية على غيرها من المفاهيم المشابهة لها. وأشار إلى أن هذه المقاربة إن كانت تسمح بالإلمام الجيد بالموضوع ضمن حقيقته الكلية ففيها خطر التقريب والغموض المفاهيمي، فضلا عن توهم احتضان كل المعارف، من أجل ذلك يفضل "موران" استخدام بدل هذه المقاربة ما أسماه بـ: "ما يتخلل التخصصات" Métadisciplinarité، وتتمثل في تبيئة التخصصات (نسبة إلى البيئة)، بمعنى تجاوز التقطيع التخصصاتي مع المحافظة عليه (Morin – 1994 مرجع سابق).

3.3 "بسراب نيكولسكو"[3] Nicolescu Basarab

له مؤلفات عديدة تعتبر شهادة حية على نشاطه العلمي. حيث أنه متخصص في دراسة القُسيمات الأولية للفيزياء النظرية (الكوانتية)، ومهتم في الوقت نفسه بعلم تاريخ الأفكار وبحث العلاقة بين العلم والفن والتراث المنقول، وتشييد الجسور بين التخصصات وعبرها أو"ما يجتازها"، مذكرًا بأن مصطلح "اجتياز المناهجية" من ابتكار "جان بياجيه" عام 1970.

يرى "نيكولسكو" (Nicolescu, 1996, p27)أنه في زماننا، أصبح المتخصصون في المجال المعرفي نفسه يجدون صعوبة كبيرة في التواصل وفهم إنتاجات بعضهم البعض، إذ ليس من الضروري أن يلم دماغ واحد بكل نتائج زملائه من الأدمغة، وذلك بالنظر إلى وجود العديد من التخصصات والميادين المعرفية حتى داخل الميدان المعرفي الواحد، فكيف بالإمكان تصور علاقات تواصلية ما بين الأزواج التالية في قضايا تتجاوز العمومية والسطحية ؟:

مختص في الفيزياء النظرية للجزيئات مع مختص في الفيزيولوجيا العصبية.

.عالم رياضيات مع شاعر.

.عالم بيولوجيا مع عالم اقتصاد.

.سياسي مع متخصص في المعلوماتية.

إن الأمر يبدو معقداً للغاية، ومع ذلك فمن المفترض أن صانع القرار يملك القدرة على محاورة كل هؤلاء في الآن نفسه. وإذا كانت اللغة المعرفية لتخصص ما عادة ما تقف حاجزاً غير قابل للتجاوز أمام المبتدئين، فإننا جميعاً مبتدئون أمام تخصصات الآخرين (نيكولسكو، 1996، ص53).

---

[3] "بسراب نيكولسكو" Basarab Nicolescu عالم وابستمولوجي فرنسي من أصل روماني، يشرف على المركز الدولي للأبحاث والدراسات " عبر التخصصاتية" – (Trans disciplinarity) ويعمل في المركز الوطني للبحث العلمي في فرنسا ويدرس في جامعة باريس السادسة.

ويؤكد "نيكولسكو" في كتابه الشهير La transdisciplinarité, Manifeste الذي ترجم تحت عنوان "بيان العبر مناهجية" أن الحاجة الملحة للربط بين مختلف الفروع العلمية أو التخصصات، كان في حدود منتصف القرن العشرين بظهور *تعددية التخصصات وبينية التخصصات*.

فتعددية التخصصات تتعلق بدراسة موضوع معين بواسطة عدة تخصصات كل على حدة. مثلا: يمكن دراسة لوح للرسام الإيطالي "جيوتو" من منظور تاريخ الفن متقاطعا مع الفيزياء، الكيمياء، تاريخ الأديان، تاريخ أوروبا، وأخيرا الهندسة. كما يمكن دراسة الفلسفة الماركسية بمنظور متقاطع بين الفلسفة، الفيزياء الاقتصاد، التحليل النفسي، أو الآداب. وهكذا يتم إثراء الموضوع بتقاطع فروع علمية أو تخصصات عدة. وإذا كانت هذه المقاربة قد تعدت حدود التخصص فإنها تبقى مسجلة ضمن إطار البحث التخصصي.

أما بينية التخصصات فلها طموح يتجاوز التعددية لأن الأمر يتعلق من وجهة نظره بعملية نقل للمناهج من ميدان معرفي معين إلى ميدان معرفي آخر، في سياق سيرورة بالغة التداخل والتعقيد، قد تجد امتدادها على مستوى ثلاث درجات يقدمها "نيكولسكو" في بيانه مدعمة بأمثلة تطبيقية:

- درجة تطبيق :(Un degré d'Application) ويقدمها من خلال مثال نقل مناهج الفيزياء النووية إلى مجال الطب، الذي قاد إلى ظهور علاجات جديدة للسرطان.
- درجة إبستمولوجية :(Un Degré Epistémologique) ويقدمها من خلال مثال نقل مناهج المنطق الصوري إلى ميدان الحقوق الذي أنتج تحليلات جديدة مثيرة للاهتمام في إبستمولوجيا القانون.
- درجة توليد تخصصات أو فروع علمية جديدة:

(Un Degré d'Engendrement de Nouvelles Disciplines)

ويعبر عنه نموذج نقل مناهج الرياضيات إلى ميدان الفيزياء الذي أدى إلى ميلاد الفيزياء الرياضية أو نقل مناهج فيزياء القُسيمات، (particules) إلى الفيزياء الكونية الذي ولد علم الفلك الكمومي (la cosmologie quantique). أو من مناهج الرياضيات إلى ظواهر الأرصاد الجوية، أو ظواهر أسواق المال الذي ولد نظرية الفوضى[4] (la théorie du chaos)، ومن المعلوماتية إلى الفن ولد الفن المعلوماتي (نيكولسكو، 2000، ص55).

وبرغم تعدي "*بينية التخصصات*" لحدود التخصص أو الفرع العلمي فإنها تبقى هي الأخرى ضمن البحوث في إطار التخصص، وإن كانت في مستواها الثالث تساهم في الانفجار التخصصاتي في نظر"نيكولسكو" لأنها تولد تخصصات جديدة باستمرار من رحم التخصصات القديمة (المرجع السابق ص 29).

وفي الأخير فإن *عبر/إجتياز التخصصات*، تخص _ كما يشير إلى ذلك لفظ عبر _كل ما يعني في نفس الوقت بين التخصصات، وخلال مختلف التخصصات، وما بعد كل التخصصات. غايتها هي فهم العالم الحاضر، ومن ضروراتها وحدة المعرفة في منظومة كلية لا تفصلها حدود، تعطي معنى للحياة الإنسانية من منظور شمولي يسمح للإنسان بالربط والتواصل مع المعارف المجزأة.

4. منهجية تعدد الاختصاص في العلوم الاجتماعية والتربوية

بعد التعرف على أهمية هذه المقاربة، نبين الحاجة إليها في العلوم الاجتماعية ونضع نموذجا لاعتمادها في العلوم التربوية والتدريس.

1.4 ضرورة تعدد الحقول المعرفية في العلوم الاجتماعية

[4] ما تشير إليه هذه النظرية، أن ما يبدو فوضوياً ولا يضبطه شيء في الظاهر، هو في الحقيقة أمر منظم، ومنضبط تماماً، وتتحكم فيه قوانين طبيعية في غاية الصرامة والدقّة. وان لا وجود لأحداث أو أشياء عشوائية، من وجهة نظر القوانين الطبيعية، هذا يعني أن الفيزياء مثلاً تحكم بقوانينها الدقيقة الصارمة المحكمة أمورا، مثل كيفية سقوط حجر النرد على رقعة لعب طاولة زهرة، أي أنه لا يوجد في العلم شيء اسمه صدفة بحته.

من المؤكد أن لكل علم من العلوم محور اهتمامه الخاص، وله إطاره النظري الذي يحكمه، وهو الخلفية التي تمد الباحث بالمعايير الدقيقة التي توجهه في عملية المعالجة والتحليل وهذا ما يدعم الخاصية الاستقلالية لكل علم. ولكن بأي حال فإن هذه الاستقلالية ليست مطلقة وإنما هي نسبية طالما أن هذه العلوم تربطها علاقات شراكة في دراسة الظواهر وطالما أنها متداخلة في مجالات الاهتمام. إن هذا التداخل من شأنه المساهمة في إثراء المعرفة وصقل النظرية وبلورة المناهج والوصول في النهاية إلى نتائج دقيقة تفيد في التطبيق والبحث، والدال على ذلك أن العلوم التربوية والتنظيمية والمهنية والصناعية بعثت من داخل العلوم العامة كعلم الاجتماع والنفس والاقتصاد وكان من نتيجة ذلك ظهور الاتجاه الذي يجمع بين عدد من العلوم المتداخلة (دويدار، 1995، ص11).

2.4 إعتمادها في علوم التربية والتدريس

لم يعد المفهوم الكلاسيكي للمنهج التربوي مناسبا لمتطلبات وحاجات المتكونين في الوقت الحاضر، وذلك بالنظر إلى موجة التغير الاجتماعي التي اجتاحت مجتمعنا المعاصر، بسبب التزايد الكبير في عدد السكان والتوسع الحضري والتطور السريع في تقنيات الاتصال ونقل المعلومات. وتحرزا من أن يصاب المتعلم بالاغتراب الثقافي والاجتماعي، أصبح من الضروري في عمليات التعلم دمج الأبعاد التكنولوجية الاجتماعية والتربوية واعتماد مقاربة متعددة التخصصات، وتأسيس ربط بين المؤسسات والمدرسين ومراعاة المتغيرات البيئية.

فالتدريس من بعد الذي أصبح مطلبا حضاريا، يقتضي أن يكتسب كل من المعلم والمتعلم حدا أدنى من المعارف في مجال الإعلام الآلي تمكنه من الاندماج في عملية التعلم.

تتحدد هذه المقاربة تربويا في التدريس المتزامن للعلوم التي تنتمي إلى مجالات مختلفة حيث تتقاطع فيه مهارة أو دراية أكثر من تخصص بشكل متفاعل يمكن الطلاب من فهم الظاهرة المدروسة من جميع أبعادها، يبدو الأمر وكأننا في رؤية مجهر، يوفر كل

من التخصصات إلى الرؤية متعددة الأبعاد، فيفتح ذلك مرجعية للابتكار، إنها ذكاء جماعي، هذه الطريقة التي ستعمل بها العديد من التخصصات معا، وستنشأ روابط، وبالتالي فإن هذا التعاون سيسمح بالنظر إلى موضوع التعلم من جميع جوانبه، زواياه، مظاهره، لرؤيته بأشكال مختلفة، لفهمه مثل واقع متعدد، وهكذا سيساهم كل تخصص أيضا بشيء ما للمشروع المشترك، ولكن ليس بالضرورة نفس الشيء، سيأتي البعض بإجراءات، وآخرون بمنهج ومفاهيم أو بعض المهارات العملية، كل هذه التخصصات ستعمل معا حول مشروع مشترك، تعتبر تعددية التخصصات هذه مواقف أنشأها المعلمون، لكنها تتيح للطلاب الاندماج والفهم والتعلم، فيكون الطالب هو الذي يدمج بين التخصصات وليس المعلمون.

3.4 نموذج في تدريس موضوع البيئة والتنمية

تعد التربية البيئية إحدى المواضيع المناسبة لمقاربة متعددة التخصصات والمراحل وتقتضي برامج متخصصة وجداول زمنية يشارك فيها عدد من الأساتذة، كل حسب نطاق تخصصاته وطموحاته. فالمدخل الإيكولوجي يمثل اتجاها فكريا جديدا في النظر إلى الظاهرة الأنثروبولوجية، لأنه لا يربطها فقط بالظواهر البيولوجية الحية (النباتية والحيوانية) التي تشارك الإنسان بيئته، وإنما أيضا بالظواهر الطبيعية غير الحية التي تمثل الإطار الفيزيقي لهذه البيئة، فهو إذن اتجاه تكاملي يحرص على دراسة الثقافة كنسق من العناصر المتفاعلة مع المكونات المختلفة للبيئة.

لذلك فإن تحليل موضوع البيئة يقتضي إشراك خبراء من مختلف التخصصات. فإذا أردنا دراستها بطريقة:

✓ تعددية التخصصات، فإننا نستدعي البيولوجيين والاقتصاديين وعلماء الاجتماع والنفس والديموغرافيا والجيولوجيين... ويتكفل كل واحد بإعداد تقرير حول الموضوع في إطار منهجه ومفاهيمه، وتبقى المهمة الكبيرة لمنسق عام لجهود هؤلاء الباحثين.

✓ أما بطريقة ما بين التخصصات، فينبغي لكل واحد من هؤلاء أن ينقل خبرته لمن يشاركه في معالجة الظاهرة، وتكون درجة التنسيق أكثر اتساعا، بحيث أن عالم الاجتماع يجب عليه أن يكون واعيا بما يقرره الإيكولوجي وعالم الديموغرافيا وكل من عمل معه. وفي الأخير لا تنسب نتائج الدراسة لمتخصص بذاته.

✓ بينما بطريقة عبر التخصصات، فإن الباحث في إطارها، يفقد انتماءه لتخصصه، بل يظهر التخصص الجديد الذي يجمع هؤلاء الباحثين، وينصهر فيه تفكيرهم ومنهجهم، وينوب فيه كل واحد عن الآخرين.

4.4 توصيات عامة بخصوص هذا المنهج

من التطبيقات لهذه المقاربة والتي نقترحها في مجال التدريس:

- إقامة ندوات مشتركة يجتمع فيها أكثر من أستاذ من تخصصات مختلفة مع عدد من الطلاب، كل منهم يقدم تفسيره للظاهرة المراد تحليلها، يتم في الأخير استخلاص النتائج العامة في تقرير واحد.

- معالجة إشكالية حول موضوع معين بصورة جماعية من طرف عدد من المتخصصين في إطار نسق مشترك وسياق عام، دون إشارة إلى تخصص بذاته.

- التعاون في إطار البحث العلمي ضمن اتفاقيات شراكة بين الطلبة والعاملين في قطاعات إنتاج متنوعة، للدمج بين المعارف العلمية والعملية.

الخاتمة

بعد عرض لآراء بعض المفكرين حول المقاربة متعددة التخصصات، بدءا بتحديد مفهومها، إلى بيان مراتبها في التداخل: من أبسطها إلى أعقدها (من الأحادية إلى التعدد إلى البينية إلى التجاوز)، قمنا بإبراز أفكار أهم المساهمين في إثراء هذا المنهج نخلص في الأخير إلى أن الرؤية متعددة الاختصاص هي أكثر مرونة وشمولية في معالجة المواضيع والإشكالات المختلفة في جميع المجالات لا سيما في علم الاجتماع والتربية، وهي حقول جامعة تلتقي فيها كثير من التخصصات كالعلوم الاقتصادية والنفسية والتشريعية

والسياسية والأخلاقية والبيئية وعلوم الدين، و أن المقاربة متعددة التخصصات لا تعني العودة إلى الموسوعية الفردية بقدر ما هي توحيد للمعارف العلمية في منظومة كلية، دون حدود مستقرة بين التخصصات، لإعطاء معنى للحياة الإنسانية في منظور شمولي سواء تعلق الأمر بالعلم، بالمجتمع، أم بالتربية.

وما يبدو ضروريا في جامعتنا الجزائرية هو إيجاد أرضية للجمع والدمج بين التخصصات لتحقيق الهدف من تأسيس ما يسمى بالجامعة وفتح الطريق أمام الدارسين من أجل تواصل حقيقي بين المعارف يتجاوز حدود الفصل الأكاديمي الصارم الذي يفرق ولا يجمع ويعزل ولا يؤلف ويختزل ولا يربط. وهكذا يتحقق الغرض من تشكيل المؤسسة التي تعنيها كلمة **الجامعة**.

إن تناول قضايا المجتمع التي هي بطبيعتها مركبة ومعقدة تحتم علينا الخروج من دائرة التقوقع داخل التخصص، إلى تعددية التخصص التي هي العمل المشترك من أجل إعادة تركيب واقع مجزئ بواسطة تقاطع التخصصات. ففي سنة 1953 تحدث المؤرخ الفرنسي" ل. فيفر" إلى زملائه قائلا "أيها المؤرخون كونوا جغرافيين وكونوا حقوقيين وكونوا علماء اجتماع وعلماء نفس ولا تغمضوا أعينكم أمام الحركة الكبيرة التي تحول بسرعة فائقة العلوم الفيزيائية للكون"(Friedmann et Febvre 1957,pp3-6).

المراجع والمصادر:

1. مصطفى نظيف: الحسن بن الهيثم. بحوثه وكشوفه البصرية، سلسلة تاريخ العلوم عند العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008، ط 1.

2. شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية، دار الفكر ، دمشق 1996.

3. عبد الفتاح محمد دويدار. أصول علم النفس المهني وتطبيقاته. دار النهضة العربية، بيروت 1995.

4. بسراب نيكولسكو، بيان العبر مناهجية، ترجمة ديمتري أفييرينوس، الطبعة الأولى 2000، دمشق.

5.Christiane Etévé et Philippe Champy Dictionnaire Encyclopédique de l'Enseignement et de la Formation ; Paris ; Nathan, 1994.

6.Nicolescu, Basarab, 1996, La transdisciplinarité, Manifeste. Monaco, Éditions du Rocher, paris.

7. Friedman et Febvre, Annales.Économies,Sociétés,Civilisations Année 1957 Volume12 Numéro 1 pp. 3-6. https://www.persee.fr/authority/228012

8. أندريه بورغينيون، من التعددية المنهجية إلى عبر المناهج، http://maaber.50megs.com/forth issue/épistémologie.

9. موران إدغار. سبعة ثقوب معرفية سوداء.مقال في مجلة *معابر*:2015 janvier 12

10. http://maaber.50megs.com/issue_september05/epistemology2.htm

11. Alain Létourneau, La transdisciplinarité considérée en général et en sciences de l'environnement. La revue en sciences de l'environnement,Vol8.no2, octobre 2008 http://vertigo.revues.org/5253?file=1:2015/02/26

12. Gael LeBoulch .Vers une méthodologie transdisciplinaire ?. 3eme journées des doctorants. Frog 2002.Université Paris 9 Dauphine 3 et 4 octobre 2002.

13. Nissani M« Fruits, salads, and Smoothies: A Working Definition of Interdisciplinarity », *in Journal of Education Thought*, (1995), 29.

14. Edgar Morin, Sur l'interdisciplinarité; Carrefour des Sciences; Actes du Colloque du Comité National de la Recherche Scientifique Interdisciplinarité; Introduction par François Kourilsky; Éditions du CNR; 1990.

15. Edgar Morin, « Sur l'interdisciplinarité », 1994Bulletin Interactif du Centre International de Recherches et Études transdisciplinaires, n° 2, 1994.